مُلحِمَةُ أُثْنَى

الطبعة الأولى 1441 هـ - 2020 م
(ISBN) : 978-9931-9639- 15-3
الإيداع القانوني: 2020/07

اسم العمل: ملحمة أنثى
اسم المؤلف(ة): بشرى جلوط
تصميم الغلاف: أكرم قواسمية
المدير العام / بلال سرير الحرتسي
إخراج: أحمد منصوري

الناشر/ أنا موجود للنشر والتوزيع الجزائر
صفحة الدار على موقع فيسبوك:
/https://www.facebook.com/anamawjoud
البريد الإلكتروني anamawjoud24@gmail.com
مقر الدار: شارع الأمير عبد القادر / عين التركي / عين الدفلة.
هاتف:66 78 21 0791 / 43 01 18 0662

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر

تأليف الكتاب: بشرى جلوط

رواية

مِلْحَمَةُ أُنْثَى

أنا موجود
أنا موجود للنشر والتوزيع

إهـــداء

إلـى تلـك المـرأة الـتي علمتـني معـنى الحيـاة، علمتـني أن الاستسـلام طريقـا لا يدركـه إلا الفاشـل، علمتـني كيـف أحقـق حلـمي بثبـات وبـدون انهـزام، إلـى أول دعـم وسـند لـي، تلـك الـتي قالـت اسـتمري مهمـا كانـت الظـروف إلـى أمي الـتي أنـارت طريقـي بدعمهـا.

مقدمـــــة

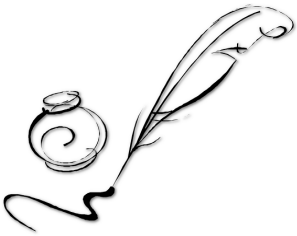

ـ يا صديقي إن الحياة مدرسة ناجح أنت أن حفظت دروسها وراسب أنت إن أهملتها وسرحت فيها كما يحلو لك.

يا صديقي دروس الحياة لا نهاية لها وأعلم أنها مجرد امتحان لك وأنت من تختار مصيرك يا إما النجاح أو الرسوب فسلاما على من أدرك طريق النجاح.

الفصل الأول

اتصلت ليلى بصديقتها ماجدة لتزف لها خبر خطوبتها والفرحة تغمرها فهي وأخيرا ستخطب لأحمد بعد قصة دامت أكثر من عامين قالت لماجدة بسعادة: مرحبا ماجدة كيف الحال؟

_ أهلا ليلى أنا بخير يبدو من نبرة صوتك أنك تطيرين من الفرح

_ بالفعل أنا كذلك احزري ماذا سيحدث

_ تملكني الفضول قولي ماذا هناك؟

_ أنا وأحمد ستتم خطوبتنا غدا إن شاء الله

قالت ماجدة ببهجة: حقا !!!! لقد فرحت من أجلكم كثيرا حقا أنه خبر مفرح أتمنى لكم كل التوفيق حبيبتي

_ شكرا لك ... هاه اتصلت بك لأسأل إن كان بإمكانك القدوم غدا من أجل مساعدتي كما تعلمين ورائي الكثير من الأشغال وأحتاج إلى العون؟

_ تمنيت كثيرا أن أكون هناك ولكن أمي تحتاج الذهاب إلى المستشفى غدا من أجل التحاليل هي في مرحلة متقدمة من المرض أخشى فقدانها كثيرا.

ردت ليلى بحزن: لا عليك حبيبتي أتمنى لها الشفاء العاجل هيا لن أطيل عليك الكلام مع السلامة.

_ إلى اللقاء ليلى وأرجو منك أن توفيني بآخر الأخبار تمام؟

_ طبعا سأفعل.

في صباح اليوم التالي استيقظت ليلى والأرض تكاد لا تسعها من الفرح عليها أن تكون على أتم الاستعداد وراءها الكثير من العمل جهزت نفسها لتطلب من صديقتها ليندا المساعدة نادت زوجة أبيها قائلة: خالتي أنا ذاهبة عند ليندا سأطلب منها القدوم معي لمساعدتي كما أنني أحتاج مصفف الشعر كما تعلمين هو ضروري في مثل هذا اليوم.

ردت زوجة أبيها قائلة: لا تتأخري ليلى أبوك سيعود بعد قليل وسيسأل عنك.

_ حسنا لن أتأخر

فتحت ليندا الباب وأثار النعاس لا زالت على وجهها قالت بتهكم: ليلى ماذا هناك في هذا الوقت من الصباح؟

_ ليندا ما بك ألم أخبرك ان اليوم موعد خطوبتي؟ نسيت أم ماذا

_ آه بلى لم أنس

_ جهزي نفسك هيا ستكونين موجودة معي اليوم ولا تختلقي الأعذار لأنني أحتاجك كما لم أحتاج الى أحد من قبل.

_ أنت عودي الى البيت سأجهز بعد نصف ساعة وألحق بك.

_ تمام واحضري معك مجفف الشعر والمزهرية التي أوصيتك بها أنا في انتظارك لا تتأخري.

******

جهزت ليلى نفسها بعد أن وضعت الماكياج وارتدت الثياب التي أعرتها لها صديقتها ليندا، كما أنهم حضروا طبق الحلويات ولم يتبق سوى وصول الضيوف وبالفعل بعد وهلة من الزمن اتصل أحمد ليخطر ليلى أنهم وصلوا. حينها هبت ليلى لتستقبلهم لتمسك بها زوجة أبيها من يدها ونهرتها بطريقة غريبة: ليلى ما بك هل جننت؟ ألم يبق بك عقل؟

_ خالتي ماذا فعلت

_ ألا تعلمين أنه من الأصول والعادات أن يستقبل ضيوف الخطبة أحد من عائلتك ألم يعلمك أبوك شيئا في هذه الحياة.

_ أبي! عن أي أب تتحدثين لو كنت حقا ابنته لكان هو الآن من يستقبلهم

_ كفي عن الوقاحة واذهبي إلى غرفتك ولا تخرجي منها حتى تسمعين مناداتي.

_ حسنا كما تشائين.

استقبلت ليندا صديقة ليلى أهل أحمد على أحسن ما يرام قامت بالترحيب بهم في قاعة الضيوف وأسقتهم عصيرا بارد أثلج صدورهم في ذلك الجو الحار وأخذت تتسامر معهم أطراف الحديث حتى ظنت أم أحمد أن ليندا هي الفتاة التي جاءت من أجل خطبتها وبالفعل تجاوبت معها وأخذت تصب عليها الأسئلة لتتعرف عليها أكثر: بأي سنة تدرسين حبيبتي.

_ سأتخرج هذا العام من كلية العلوم.

_ تخصص جد موفق .... هل تفكرين بالعمل بعد التخرج؟

_ بالحقيقة أنا لم أفكر بالعمل بعد كما أنني أرى من وجهة نظري أن المرأة مكانها بالبيت.

_ جميل حقا أبهرتني أفكارك.

استمرت السيدة " فاطمة " بطرح الأسئلة على ليندا بينما كانت ليلى تعض أصابعها من التوتر وبعد أن طفح الكيل قررت الخروج على ضيوفها حملت صينية القهوة والحلويات ودخلت عليهم.

اندهشت أم أحمد بعد أن رأت فتاة تلبس ثيابا قصيرة غير محتشمة وتذمرت بينها وبين نفسها لتفهم بعد حين أن تلك الفتاة هي ليلى زوجة ابنها المستقبلية.

جلست ليلى في صمت بعد أن ألقت السلام عليهم واختلطت عليها مشاعر القلق والخجل لتنتظر من أم أحمد مباشرة الكلام معها ... وبالفعل كسرت " فاطمة " الصمت وبدأت الكلام مع ليلى.

قائلة: إذا أنت هي ليلى

_ أجل أنا ليلى

_ كم تبلغين من العمر

_ 20 سنة وسأجتاز امتحان البكالوريا هذا العام

قالت فاطمة بتهكم: على حسب ما قالت أمك الآن ....

قاطعتها ليلى قائلة: عفوا هي ليست أمي .... هي زوجة أبي

_ والداك مطلقان؟

_ أجل منذ عشر سنوات

تسمرت أم أحمد بمكانها واحمر وجهها وكان واضح على وجهها أنها تلقت صدمة قوية.

بينما طأطأت ليلى رأسها من الخجل وشعرت كأنها اقترفت جريمة حين أخبرتها أن والديها مطلقان جعلت الصمت ونيسها كأن القط أكل لسانها.

بعد لحظات صمت طويلة وقفت أم أحمد لتستأذن بالرحيل بعد أن رفضت احتساء القهوة حتى أنها لم تفكر بتوديع ليلى بل تصرفت معها مثل العدم على عكس الاهتمام الذي أبدته لصديقتها ليندا التقبيل والأخذ في الأحضان.

انسلت ليلى إلى غرفتها بهدوء لتنتظر مكالمة من أحمد لتعلم مصير أمر خطوبتهم فهو بين أيدي أمه.

******

_ هذا الموضوع سيغلق يا أحمد.

قال أحمد بغضب: أمي ما بك حكمتي على ليلى من الأن ربما أنت لم تتعرفي عليها جيدا.

_ الموضوع ليس موضوع تعرف تلك الفتاة لا تناسب عائلتنا

_ ولمَ حتى لا تناسب عائلتنا إذا كنت تتكلمين عن وضعها المادي فهذا سبب تافه.

_ لا يا أحمد أنا لا أقصد وضعها المادي بالرغم من هذا سأتقبلها لو كان كذلك ... والديها مطلقان أتدرك معنى هذا؟

* شعر أحمد وكأنه أصيب بصعقة كهربائية ثم قال: كنت أعلم بهذا الشيء.

_ ماذا !!! ابني لم أكن أعلم أنك أبله لهذه الدرجة نحن نحظى بمكانة مرموقة بين الناس ولن أسمح لتلك الفتاة التي تدعى ليلى بطمسها

_ عن أي مكانة تتحدثين أنا لا يهمني رأي الناس ليلى ستكون زوجتي ومن الأحسن أن تتقبلي هذا من الآن.

_ هكذا إذا ... اسمع يا أحمد بما أنك تريد مخالفة كلامي دعني أقدم لك حرية الاختيار.

يا أنا، يا ليلى .... وإذا كان لي عليك حق أمومة ولو قليلا فليكن حراما عليك إلى يوم الدين .... أنا لن أستطيع أن أدعو عليك لأنك ابني ولكن إذا اخترت تلك الفتاة امسح بطريقك صورة الأم التي بنيتها لك طوال تلك السنين والأن

سأنسحب إلى غرفتي بهدوء وستخبرني بقرارك بعد حين كي لا تندم بعدها.

كانت ليلى في غرفتها تترقب اتصال أحمد حاولت إشغال نفسها عن التفكير بهذا الأمر ولكن بئس المحاولة وها هي شاشة هاتفها تضيء باتصال أحمد، ردت بلهفة ويداها ترجف من القلق: أحمد لمَ تأخرت!

_ كيف حالك ليلى.

_ أنا بخير ولكن ما به صوتك تبدو قلقا؟

_ بالفعل أنا كذلك.

_ لماذا؟ هل حدث شيء أخبرني.

قال أحمد بصوت يكاد لا يسمع: أمي يا ليلى.

_ ما بها هل أصابها مكروه !!

_ رفضت قصة زواجنا وجعلتني أختار بينك وبينها ليتك لم تخبرها بطلاق والديك حتى حين.

ليلى بدهشة: هذا ليس موضوع يخصني لأخجل به أعلم أنك في موقف صعب ولا تستطيع الاختيار بيني وبين أمك ولكن لا تضع الحق علي

_ بلى أنا اخترت يا ليلى.

_ أحمد هل أنت جاد؟ إلى أي قرار توصلت.

_ أنا لا يمكنني العيش بدونها هي كل شيء في حياتي ... ليلى أنا أسف قصتنا انتهت هنا اعتبريها لم تبدأ أصلا.

تقطع صوت ليلى حين كانت تقول: أحمد أنت تمزح أليس كذلك ... أخبرني أنك تمزح أرجوك تعلم أنني لا أستطيع التخلي عنك أبدا

_ الأمر ليس بيدي حاولت إقناعها كثيرا تستحقين الأفضل صدقيني لن ينفع الأمر.

_ لا يا أحمد صدقني أن حا...

* قطع أحمد المكالمة بوجه ليلى بعد ان وجه لها كلمات بعثرت وجودها أحمد تخلى عنها حاولت الاتصال به العديد من المرات ولكنه رفض إجابتها أيقنت أن الموضوع حقا إنتها لقد قطع أحمد الآن كل صلاته بها.

سقطت ليلى على الأرض بعد أن أيقنت تماما أن أحمد أنهى كل شيء تعرضت لصدمة قوية بعد أن كانت تظن أنه سيخرجها من الظلمة التي تعيشها مع زوجة أبيها كانت تعيش بتفاؤل لقد كان لديها سبب تعيش من أجلها.

جاءت زوجة أبيها فوجدتها ملقية على الأرض ووجهها يشبه اصفرار الرمل:

ليلى ما بك هل حل عليك شيء؟

قالت ليلى بصوت ينتابه البكاء: لقد أنهى كل شيء، لقد أنهى كل شيء

_ أنا لم أفهم ما الذي انتهى ومن أنهاه.

انفجرت ليلى بالبكاء قائلة: أحمد تخلى عني يا خالتي لقد قطع ما يربطنا من أجل أمه.

_ انهضي من الأرض يا ليلى هيا أصلا أنا لم أكن أتوقع غير هذا نهتك كثيرا بأن تبتعدي عنه لا أريد سماع اسمه أمامي وإلا أخبرت أبوك كفي عن هذه المسخرة.

_ لا أستطيع أنت لا تعلمين ما أشعر به هذه اللحظة قدماي لا تحملاني لقد تدمرت تدركين معنى هذا؟ أتعلمين ماذا يعني تخلي أحب الأشخاص عنك في أول فرصة؟

صعرت زوجة أبيها خدها وقالت: أنا لا أعلم ولكن أنت تعلمين أو لم تتخلى عنك أمك في أول فرصة! حظك التعيس يا ليلى يأبى أن يضحك بوجهك لذا لا داعي لهذه الدراما.

_ حقا ما فائدة الكلام معك؟ أنت تسعين إلى قصفي بكلامك كلما تتسنى لك الفرصة لذا ابتعدي عني لا تجعليني أفرغ غضبي بك.

* اتجهت ليلى الى غرفتها أطفأت الإنارة وانسلت إلى سريرها بعد ان انكمشت على نفسها وأطلقت العنان لدموعها صارت تلطم وجهها على الوسادة وتقول: لماذا يا أحمد لمَ فعلت هذا بنا أنت من كنت لا تستطيع النوم بدون سماع صوتي ماذا حدث لك يا أحمد .... ليكن كل نفسا أتنفس عذابا لك يا أحمد لن أغفر لك ما دمت على قيد الحياة.

وعدتني أنك لن تترك يدي أبدا وها أنت تركتها بأول فرصة لك.

حبنا كان على وشك أن يعلن معركة مجيدة وأنت قررت الانسحاب قبل أن تشن الحرب.

سليت سيفك ومزقت قلبي به.

حاولت ليلى دفن أفكارها ولكنها فشلت فقررت دفن رأسها بالوسادة كي لا يسمع أحد صوت أنينها ... لن تجعل نفسها محطة ضعف أمام من يتمنى سقوطها ولكن التظاهر بالقوة سيكون شيئا قاتل في هذه الأثناء، لقد تخلى عنها أعز ما تملك كيف لها أن تنسى.

بعد صراع طويل مع الحزن وحرقة الفراق استسلمت ليلى أمام النعاس وغطت في نوم عميق يقال إن النوم راحة بالفعل هو كذلك هو راحة ونسيان.

******

بعد يوم من فشل موضوع الخطوبة استيقظت ليلى على صوت زوجة أبيها وهي تحجز موعدا في صالون الحلاقة بصوت مرتفع وكأنها تتعمد إيصال الخبر لليلى وبالفعل أخذ الفضول ليلى وسألتها عن الأمر بتعجب: ماذا يحدث ما المناسبة!

قالت زوجة أبيها بتراخي: غدا خطوبة صديقتك ليندا ألم تخبرك بهذا؟

_ لا هي لم تخبرني بشيء لم يتسنى لي الحديث معها في هذه الآونة الأخيرة.

_ آه حقا؟ لا علينا ألن تذهبي هي عزمتك لحضور حفل الخطوبة.

_ لا لن أذهب اعتذري لها نيابة عني هي أصلا تعلم الظروف التي أمربها لذلك لا داعي للتبرير

_ خطوبتك فسدت بالأمس وهي اليوم تخطب، تعلمي من الناس التي تعلم كيف تسير أمورها اجعليها عبرة لك.

قالت ليلى وهي تدير ظهرها: يكفي لا داعي لإعادة نفس الكلام كل يوم

اوقفتها زوجة أبيها قائلة: هناك شيء اخر يا ليلى

_ ماذا هناك؟ إذا كان شيء سخيف لا داعي

_ اسمعي ما سأقول وأنصتي اتصلت بي أم أحمد في الصباح الباكر تعلمين ماذا قالت؟

لقد هددتني بأنها ستجعلك تدفعين الثمن إذا لم تبتعدي عن أحمد وعلى هذا الأساس افهمي قدرك لا داعي أن تحومي حوله مجددا هو لا يريدك لذا ابتعدي لا تدوسي على كرامتك وكرامة أبوك أكثر.

انطلقت ليلى إلى غرفتها فورا بعد أن تسممت بكلام زوجة أبيها كالعادة حاولت إشغال نفسها بالتواصل مع صديقاتها ولكن كل ما كان يشغل عقلها هو أحمد ترى هل حقا كان يحبها أم كان كل ذلك مسرحية وانتهت حين سئم من التمثيل، بالفعل لديها العديد من الأسئلة التي تحتاج الى جواب كي تكتمل ولا أحد يملك جواب أسئلتها إلا أحمد.

******

كان أحمد بمكتبه يدرس بعض الملفات بالعمل إلا أن رن هاتفه والأعجب أن المتصل كان ليلى، تعجب أحمد من اتصالها بعد ما حدث بينهم تردد بين الرد على المكالمة والرفض وفي الأخير قرر أن يرد على مكالمتها بجفاف قال أحمد: ماذا تريدين؟

_ وعليكم السلام.

_ ليلى ادخلي في الموضوع مباشرة أنا مشغول ولا أملك الوقت الكافي لك.

_ بالطبع لم أستغرب من أنا حتى توفر وقتا لي، كما قلت سأدخل في صلب الموضوع مباشرة أريد أن ألتقي معك.

رد أحمد بعد ان ضحك بسخرية: تلتقي بي أنا قد تكونين تخططين لقتلي وانا لا أعلم

_ أنا لا أمزح معك ستأتي ام لا

_ أين سنلتقي؟

_ بالكافتيريا المجاورة للجامعة

_ سأكون هناك خلال نصف ساعة

أغلق أحمد الخط وعقله مشغول بسبب رغبة ليلى بلقائه أغلق مكتبه وانطلق لتلبية الموعد.

أوقف أحمد سيارته بموقف السيارات وترجل منها نحو الكافيتريا التي كانت ليلى قد وصلت إليها قبله، بعد أن لاحظ وجودها عن بعد عرف أنها جاءت منذ وقت طويل وقف على كرسي الطاولة وقال:

_ ها قد جئت من الواضح أنك انتظرت كثيرا!

رفعت ليلى رأسها بشموخ وقالت: لا يهم أن انتظرت كثيرا أم لا، بإمكانك أن تجلس هناك الكثير من الكلام أريد قوله ولن تسايرك قدماك على الوقوف.

_ ها قد جلست تفضلي يمكنك قول ما عندك.

_ هناك سؤال يدور برأسي منذ أن افترقنا أنت الوحيد من تعرف جوابه

_ ما هو؟

_ هل أحببتني في يوم ما حقا!

احمر وجه أحمد بعد أن طرحت عليه ليلى سؤالها، استمرت لحظات الصمت بينهم لهنيهة ثم قرر أحمد أن يصفع ليلى بإجابته قائلا: لا أعلم.

ردت ليلى بهدوء: أتعلم لما لم أستغرب قط؟ لم أكن أتوقع من أحد مثلك غير هذا جوابك أقنعني بأنك شخص حقير.

_ لا تتجاوزي حدك بالكلام نحن في مكان محترم وكل من هنا يعرفني لذا لا تتصرفي كالأطفال.

_ حقا أنا من أتصرف كالأطفال، ترى من هو ذلك الشخص الذي كانت تجره أمه بالأمس من أذنه كي لا يتزوج الفتاة التي اختارها؟ يمكنك تحديد من هو الطفل بإجابتك.

_ لم أكن أعلم أنك سخيفة لهذه الدرجة ربما تعلقت بك لفترة وانتهت لا يستحق كل هذه المعاناة هاه وعلى هذه السيرة أريد أن أخبرك أن أمي خط.... قاطعته ليلى قائلة بعد أن نهضت من المقعد: لا يهمني ما تفعله أمك ولا يهمني نفاق كلامك بعد الآن ما كنت أريد أن أعرفه عرفته علاوة على هذا أريد أن أخبرك أنني لن أسامحك على غدرك أبدا.

بدون أن تلتفت ورائها ركضت ليلى ودموعها على خدها كل ذلك الوقت الذي قضته مع أحمد بات هباء منثورا أو بالأصل تبخر كالرماد ليصبح بعد وهلة كالعدم لا وجود له.

أما أحمد طلب فنجان قهوة وجعل يقلب هاتفه وكأن شيئا لم يحدث، فهو كما يظن أنه لم يخطئ أبدا يعرف جيدا أن أمه لن تغير كلامها، كما أنه أن استطاع أن يضحي بالعالم بأسره لن يضحي بأمه لأنها كانت الأب الداعم له حين توفي والده.

وكانت الأخ الصديق حين لم تمنحه الحياة أخ

كانت الأم والمدرسة والمعلمة والطبيبة وكل شيء أوصله لهذه المكانة بفضلها.

الفصل الثاني

عادت زوجة أب ليلى من حفل خطوبة ليندا وهي تتفاخر وكأن الأمر يخصها اتجهت مباشرة نحو غرفة ليلى وقالت: ماذا كنت ستخسرين لو لبيتي دعوة صديقتك.

_ هل تمت الخطوبة على خير؟

_ طبعا مرت على خير تظنين أنها تعيسة حظ مثلك أسفي عليك يا ليلى حتى أنهم حددوا موعد الزفاف.

قالت ليلى بدهشة: الزفاف! بهذه السرعة لن تستطيع اللحاق على تجهيز أشيائها.

_ بلى تكفل أهل العريس بكل شيء.

_ ومتى سيكون؟

_ الأسبوع القادم، ستذهبين معي أليس كذلك!

_ لا أعلم إن كنت بخير ربما سأذهب.

_ من العيب ألا تحضري زفاف صديقتك، نسيت أنها هي من قدمت لك المساعدة وقت الحاجة لا تجعلي الغيرة هي من تسيرك

_ الغيرة؟ ماذا تقولين؟

_ أعلم أنك تحترقين من الداخل لأنك صديقتك خطبت أما أنت تبعثرت كل أحلامك في الهواء.

ملأت الدموع عيون ليلى ثم قالت: صدقيني لا يهمني بتاتا توقفي عن إزعاجي وجرحي بهذه الكلمات القاسية كلما أقرر نسيان ما حل بي تجعلين نفسك مذكرة تفتح صفحاتها على الألآم فقط ارحمي ضعفي وقلة حيلتي أنا أرجوك. صعرت زوجة أبيها خدها وأدارت ظهرها نحو غرفتها وكأنها حائط لا يهتز لا يسمع ولا يفهم.

******

رمت ليلى نفسها على سريرها ووضعت يديها على وجهها لتطلق العنان لدموعها بعد ان فتحت زوجة أبيها جرحها من جديد حتى رن هاتفها باسم صديقتها خديجة ردت وصوتها يتقطع من البكاء: خديجة أهلا

_ أهلا بك ليلى كيف حالك ما به صوتك؟

_ أنا بخير لا يهمك كالعادة تشاجرت مع زوجة أبي

_ سمعت بما حدث بينك وبين ابن عمي أحمد ليلى أنا حقا جد متأسفة أشعر وكأنني السبب.

_ لا داعي للاعتذار ولا تلومي نفسك لا ذنب لك

_ بلي أنا المسؤولة عن الأمر أنا سبب تعرفكم على بعض وأنا من شجعته على محادثتك

_ خديجة أرجوك غيري الموضوع مللت من هذه السيرة نفسي يضيق كل يوم لا تضيقي على أكثر

قالت خديجة بتأسف: حسنا حسنا إذا اتصالي كان في وقته، سأذهب إلى المزرعة لجني المحصول ستأتين أليس كذلك

_ أعلم أن أحمد سيكون هناك لا أريد رؤيته

_ هولن يكون هناك ليلى هيا من أجلي أرجوك تعودت الذهاب معك

_ خديجة لا تصري على الموضوع أكثرتكفيني الضغوطات التي أواجهها

_ ألن تأتي من أجلي؟

سكتت ليلى دقائق معدودة ثم قالت بعدها: سأكون عندك خلال خمس دقائق.

_ شكرا حبيبتي أنا أنتظرك

استأجرت خديجة سيارة أجرة لنقلها نحو المزرعة هي وليلى، كانت رحلة استجمام شرحت صدر ليلى قليلا بعد أن استنشقت عليل من نسمات الهواء، كما قضت وقتها بتبادل النكت مع خديجة والضحك عند وصولهم إلى المزرعة، فور أن خطت ليلى عتبة بيت المزرعة شعرت وكأن أحمد معها بنفس البيت وبالفعل صدق إحساسها كان أحمد جالسا على الأريكة وكأنه ينظر قدومهم.

رمقت ليلى خديجة بنظرة الغضب بعد أن شدت على أسنانها وقالت: أنت من أخبرته أني قادمة أليس كذلك؟

_ أقسم لك أنني لم أفعل لم أكن أعرف إطلاقا أنه سيكون هنا.

نهض أحمد من مكانه وألقى السلام على كلاهما، تصرفت ليلى وكأنها لا تراه كما أنها لم ترد.

طلب أحمد من خديجة أن تسمح له بمحادثة ليلى دقائق معدودة فانسحبت لقضاء أمورها.

قالت ليلى بغضب: ماذا تريد ليس هناك شيء نتحدث فيه

_ من الأدب ان تردي على السلام أولا يا ليلى.

_ ومن أنت حتى أرد عليك! أنت مجرد عدم بالنسبة لي كنت تعني الكثيروالآن لا تملك حتى القليل.

_ ليلى صدقيني ما حدث ليس ذنبي الأمرفات طاقتي.

_ ليس ذنبك، ليس ذنبي وليس ذنب أمك ذنب من إذا؟ أحمد صدقني عندما تعرفت عليك أنرت حياتي مثل الشمعة لما أطفأتها وأظلمت الدنيا بوجهي لمَ؟ أتعلم؟ كل يوم أضع رأسي على السجادة لأدعو الله أن ينسيني إياك وإذا بي أدعو الله أن يجمعنا.

سقطت دمعة حارقة على وجنة ليلى أخفضت رأسها كي لا تبدي ضعفها أمامه لترفعه بعد ذلك والصدمة على وجهها كأنت تلقت صدمة قوية قائلة: أحمد ما هذا الخاتم الذي على إصبعك؟ هل خطبت؟

تردد أحمد في إجابته ثم قال: هو كذلك يا ليلى، تم حفل خطوبتي في الصباح كنت سأخبرك أنني سأخطب عند لقاءنا بالكافيتريا ولكن لم تسمحي لي بالكلام.

_ معك حق ولم حتى تخبرني حياتك وانت حرفيها، كنت أظن لوهلة أن ما حدث بيننا مجرد عاصفة وستمر وإذا بها ثابتة لا زوال لها.

_ في الحقيقة انا لست راض عن هذه الخطوبة امي تكفلت بكل شيء حتى ان الفتاة من اختيارها ألا تعلمين انا صد...

قاطعته ليلى بصراخ: أنت كاذب كل ما تفعله باسم أمك مجرد سببا تافه لا يبرر لك شيء خيانتك، نفاقك، غدرك لن أنس أي منهم كل ما أتمناه أن يجعلك الله تعيش أسوء من هذا.

بعد أن انفطر قلبها عادت الى البيت وكأنها فراشة تم كسر جناحيها، لطالما كان أحمد أناني يفكر بنفسه فقط ولا يقبل إلا رأيه

استلقت ليلى سريرها واخذت تقلب ذكرياتها لطالما أرهقت هذه الذكريات جسدها الضعيف لم تشعر كيف غطت في ذلك السبات العميق حتى أيقظها صوت هاتفها وهو يرن بدون توقف ردت بصوت يغطه النعاس: مرحبا من معي

_ ليلى هذه انا ماجدة

قفزت ليلى من مكانها وقالت: ماجدة لمَ تبكين حدث لك شيء

_ لقد رحلت يا ليلى تركتني أمي بعد صراع طويل مع المرض رحلت بدون عودة أمي توفيت استسلمت للقدر.

_ ماجدة حبيبتي هذه سنة الحياة عظم الله أجركم أرجوك هدئي من روعك انتظريني سأكون عندك بعد لحظات

انطلقت ليلى بسرعة نحو بيت صديقتها فور دخولها وجدت ماجدة جالسة على الأرض بدون حركة فور ان نطقت اسمها نهضت ماجدة وعانقت ليلى بقوة وأطلقت العنان لبكائها وصراخها، بعد معاناة طويلة استطاعت ليلى أن تخفف عنها ألامها لتنام في حضنها كالأطفال الصغار، لم تعرف ليلى معنى حنان الأم في حياتها بعد أن عصفت بها الحياة منذ الصغر ولكنها استطاعت أن تبني شخصية طيبة بين كل من يعرفها.

مضت ثلاثة أيام على وفاة أم ماجدة أقامت ليلى خلال هذه الفترة هناك لتقوم بمساعدة صديقتها في كل شيء والآن أوفت حقها وحان موعد عودتها الى البيت:

_ ماجدة أتمنى من الله أن يرزقك جميل الصبر والسلوان تعلمين يجب أن أعود الى البيت أبي اتصل بي البارحة وطلب مني العودة سأزورك من حين لأخر

_ ليلى لا أعرف كيف أرد جميلك هذا حقا وجودك معي كان أكبر سند لي في هذه المحنة شكرا جزيلا لك

_ لا شكر بين الإخوة

عانقتها ماجدة بقوة واستأذنت ليلى بالرحيل ليبقى البيت مظلم بدون شمعة تضيئه على ماجدة.

رتبت ليلى خزانتها واستمرت بترتيب غرفتها حتى حان الليل، لم تكن ضعيفة لهذه الدرجة في يوم ما من حياتها تحتاج الى من يواسي حزنها ويداري ألمها تحتاج إلى من يطبطب على قلبها ويقول أنا هنا بجانبك مهما قست عليك الحياة لم تشعر كيف حملت هاتفها واتصلت بأحمد لم أنس ما حدث ولكن لحظة ضعفها جعلتها تخطئ كعادتها.

رد أحمد بتذمر على مكالمتها: نعم ليلى هناك شيء في هذا الوقت المتأخر من الليل.

_ أحمد أنا آسفة على الإزعاج ولكن شعرت وكأنه يجب أن أتصل بك

بعد ضحكة طويلة قال أحمد: انت بخير أليس كذلك، هل وقع معك حادث جعلك تفقدين ذاكرتك؟

_ أتصر دائما على جعلي أندم أكثر لم أتصل كي أسمع كلامك التافه هذا

_ لمَ اتصلت بي إذا!

_ لا أعلم صدقني لا أعلم أظن أن عقلي انتابه الجنون قليلا أدرت محادثتك.

_ أنا سأنام هيا لا أريد منك أن تزعجيني بعد هذا

_ أقسم لك أنني لن أفعل

بعد أن أقفل أحمد الخط رمقه أصدقائه بغرابة ثم قال صديقه وليد: أحمد لما كذبت عليها.

قال أحمد وهو يشرب من كأس العصير: ماذا هل تريد مني أن أخبرها أنني أحتفل بقراءة فاتحة زواجي وأنا الآن أضع الحنة في يدي لأحتفل بهذه المناسبة السعيدة!

_ أوليست هذه الحقيقة لمَ هذا التلاعب؟

قال أحمد بغضب: وليد لا تتدخل بأموري هذا شيء يخصني.

_ أردت فقط أن أشاركك برأيي، ما يحدث ليس مناسبا صدقني يا أحمد أنت تخطئ ستتزوج بعد مدة أخبرها ولا تجعلها تتأمل أكثر.

_ يكفي يكفي غير هذا الموضوع

_ كعادتك تحاول الهروب من الواقع

حمل أحمد القليل من الحنة ووضعها على وجه وليد بينما انفجر جميع أصدقائه بالضحك.

بالاتجاه الآخر كانت ليلى تكسر بطاقة هاتفها وهي تقول: أزعجتك إذا يا أحمد هاه! لن تزعجك اتصالاتي بعد الأن.

أعتذر عن كل رسالة وعن كل اتصال حتى أنني أعتذر لأنني فكرت بك في يوم من الأيام وأزعجتك بتفكيري.

في صباح اليوم التالي ضربت ليلى زيارة لخديجة كي تخفف الأحزان عن نفسها وتبادل صديقتها مشاعرها.

رحبت بها خديجة وهي تقول: أهلا بك ليلى زارتنا البركة ما سر هذه الزيارة المفاجئة.

_ أسفه لأنني جئت بدون اتصال سأعود أدراجي إن أزعجتك

_ هه هه ما هذا الكلام ادخلي البيت بيتك.

_ هه هه أمزح معك أعلم كلما ضاقت بي الدنيا لجأت إليك.

_ تعالي حبيبتي وقفت عند الباب أصلا عندي ضيوف.

ليلى بدهشة: أحمد أليس كذلك

_ لا لا ليس أحمد ادخلي هذه ابنة خالتي سارة.

_ حقا؟ كيف سألتقي معها

_ هيا ادخلي ليلى لا تعقدي الأمور

دخلت ليلى لقاعة الاستقبال ألقت السلام على سارة بينما استأذنت خديجة لتحضير القهوة.

أخذت سارة تتسامر أطراف الحديث مع ليلى بعد غياب دام أكثر من عام

قائلة: ليلى كيف حالك تبدين مهمومة جدا

_ أنا بخير، كما تعلمين أمور الحياة

_ وكيف تسير الأمور بينك وبين أحمد

حاولت ليلى تغيير الموضوع ولكن لا حيلة بيدها يجب أن تضع نفسها بالأمر الواقع ردت قائلة: لقد انفصلنا

_ حقا؟ لقد أدهشتني فعلا بالرغم من أنني لم أكن أتوقع غير هذا نصحتك عدة مرات حتى أننا لم نعد نتقابل بسبب هذا الموضوع ترى ما لسبب الذي طرحه أحمد على فكرك كي يتبرأ منك!

قالت ليلى وعلامة الندم على وجهها: بالفعل كان معك حق ومسح السكين بأمه على أساس أنها هي من أرغمته على الانفصال.

_ لا أصدق حزنت من أجلك يا ليلى كنت أريد أن لا تتعرضي لنفس الخيانة التي تعرضت لها هولن يتغير أحمد سيبقى أحمد بنفس التصرفات والأكاذيب.

_ عندما حاولت أن تنصحيني تهربت من الحديث معك حتى أنني أخبرت أحمد بكلامك قال أن الغيرة هي من تدفعك لقول هذا الكلام وأنا كالغبية صدقته.

_ لا بأس ليلى لا ألقي اللوم عليك أعلم أنه يجيد لعبة الخداع

_ دعينا نغير الموضوع سيرته أمست تضايقني، ماذا تفعلين هل تخرجت من الجامعة.

_ نعم كما أن زفافي في الشهر القادم أنت من المدعوين من الآن

قالت ليلى بفرح: طبعا بكل سرور

انضمت خديجة الى الجلسة مع القهوة والحلويات وقاموا بقضاء أمسية طيبة امتلأت الأجواء بالضحك والمسايرة.

عادت ليلى إلى البيت بعد أن قضت أجواء ممتعة غيرت مزاجها هي كذلك حتى دخلت زوجة أبيها غرفتها قائلة: ليلى أبوك أصبح يتذمر بسبب قدومك من عند تلك الفتاة التي تدعى خديجة حاولي تجنب لقاءها

_ منذ متى يهتم أبي بشؤون صديقاتي؟

_ لا تراوغي في الحديث ولا تكثري الكلام، هاه استيقظي غدا باكرا

_ لماذا؟

قالت زوجة أبيها بتراخي: زفاف ليندا بعد غد يجب علينا أن نتسوق من أجل الحفل تعلمين كل الأنظار ستراقب غيرها لذا كوني على أحسن هيئة وتصرفي بلباقة.

_ كنت أنوي المرور على ليندا كي أساعدها بالتجهيزات ربما تحتاج الى شيء.

ارتبكت زوجة أبيها ثم قالت: لا هي لا تحتاج شيء حتى أنها مشغولة هذه الأيام من الاصح ألا تذهبي دعيها تهتم بأمورها لم يبقى سوى يومين وتلتقيان يوم الزفاف.

أقنعتها بعدم الذهاب لمقابلة ليندة بطريقة ماكرة.

وفي صباح اليوم التالي ذهبت ليلى وزوجة أبيها للتسوق وقاموا باقتناء كل ما ينقصهم من لباس، أحذية، ماكياج ... حتى أنهكهم التعب وقرروا العودة إلى البيت.

الفصل الثالث

يوم زفاف ليندا

التحضيرات في بيت ليلى كادت تخنقها حتى شعرت بأنها لن تستطيع اللحاق بالوقت المناسب للحفل كانت زوجة أبيها تصرخ قائلة: ليلى دائما متأخرة، كنت أعلم أنك ستعطلين الموضوع كعادتك.

_ أنا على وشك الانتهاء لم يتبقى الكثير سأضع الماكياج وأكون على أتم الاستعداد.

_ لا تنسي الحقيبة ضعي فيها الماكياج لكي نعدله في القاعة.

_ حسنا، حسنا لقد داهمني الوقت بسرعة.

وبعد مد وجزر طال بين ليلى وزوجة أبيها تمكنت ليلى من اللحاق في الوقت المناسب بعد أن كادت أن تقرر العزوف عن حضور الحفل

خطت ليلى نحو قاعة الحفلات بفستان أنيق وحذاء ذو كعب عالي كانت تبدو مثل الأميرات استطاعت ان تخطف بجمالها البسيط كل الأنظار.

تجولت ليلى قليلا في القاعة بعد أن لفتها ديكورها الجميل والعصري طاولات ترتدي حلة بيضاء فوقها ورود حمراء أضافت رونقا على بريقها، ستائر بيضاء رخامية مناسبة تماما لحلة الطاولات.

كان القاعة تبدو وكأنها تتأهب لزفاف ملكة قررت ليلى بعد استئناف التجول أن تزور غرفة العروس ليندا وتقدم لها التهاني.

عندما دلفت ليلى الى الغرفة انتفضت ليندا وكأنها رأت شبحا تلعثم لسانها وهي تقول: ليلى! ماذا تفعلين هنا.

ردت ليلى با ستغراب: ما بك ليندا هل رأيت شبحا؟ هذه أنا

_ أعلم أنها أنت ولكن لم أكن أظن انني سأجدك مع الحاضرين

_ كيف لا وهذا زفاف صديقتي المقربة.

_ هل جئت من أجلي؟

_ من أجل من إذا؟ طبعا من أجلك ليندا ما بك تتصرفين بغرابة اليوم انه يوم زفافك ومن الطبيعي أن تكون صديقتك هنا.

_ لا ليلى صدقيني استغربت من تقبلك الأمركنت أظن أنك ستواجهين صعوبة للتأقلم

_ صعوبة ماذا؟ إن كنت تتكلمين عن صحتي انا بخير هل تنتظرين مني قبول لزفافك مثلا هه هه.

ضحكت ليندا وقالت: لتلطيف الجو: ليلى حقا أنت فتاة جد طيبة لقد تأكدت جراء تصرفك هذا أنك تمتلكين قلبا نقي.

_ سأتجاوز كلامك الغريب هذا لا علينا، ليندا لم أخبرك أنك تبدين جد جميلة حقا فرحت من أجلك تستحقين الأفضل أتمنى لك حياة سعيدة وفقك الله.

_ شكرا حبيبتي وأنت أيضا تبدين في غاية الجمال ولا تنسي أن تشكري زوجة أبيك نيابة عني عن المساعدة العظيمة التي قدمتها لي في التجهيزات.

قالت ليلى والدهشة تبدو على وجهها: هل قامت زوجة أبي بمساعدتك

_ طبعا كانت كل الملابس التي اشتريتها من انتقائها تملك ذوق جميل

_ لم تخبرني بهذا مطلقا لا بأس دعيني لا أعكر مزاجك سأعود إلى الطاولة مع أطيب التهاني لك مجددا.

_ شكرا حبيبتي استمتعي بوقتك.

عادت ليلى لتلمح صديقتها خديجة موجودة بالحفل كما أنها كانت تشارك الطاولة مع زوجة أبيها وعلامات وجوههم تدل وكأن حربا قائمة بينهم اتجهت ليلى نحو الطاولة مباشرة لتقول: خديجة أنت هنا؟ لم أكن أعلم أنك ستحضرين زفاف ليندا هل تعرفان بعضكم البعض!

تلبكت خديجة قليلا لتقول: في الحقيقة زوجة أبيك هي من عزمتني لمشاركتكم الحفل وأنا جئت تلبية لرغبتها.

نظرت ليلى لزوجة أبيها وقالت: لم تخبريني أنك سترسلين دعوة لخديجة كنت أرسلتها نيابة عنك!

_ ليس من المهم أن أخبرك بكل شيء يا ليلى.

_ هاه طبعا لك الحق في هذا طبعا ليندا أيضا تشكرك على مساعدتها في اختيار الملابس.

أدارت زوجة أبيها وجهها وهي تقول: هل أخبرتك بهذا أيضا؟

_ بالفعل أخبرتني من يرانا من الخارج يظن بأننا عائلة سعيدة، لكن بالفعل هناك سؤال يطرح نفسه متى تسنى لك الوقت لمساعدة ليندا كنت تقولين أن ندعها براحتها ولا نزعجها.

_ لا شأن لك ولا تتدخلي بموضوع لا يخصك.

جلست ليلى على المقعد وكل تفكيرها بعريس صديقتها الذي استطاع أن يخطف قلبها كانت تتوق حرا لرؤيته.

وها هو موكب العريس يصل بالتصفيقات والزغاريد والطبول تقرع على مسامع الحاضرين وقفت ليلى من مكانها لتشبع فضولها بالكاد استطاعت أن تلمح وجه عريس صديقتها ليندا وسط ذلك الحشد الصاخب ولكن هل ما رأته حقيقي؟ أحمد بطاقم العريس والحنة تزين إصبع الخنصر.

هبت عاصفة قوية داخل ليلى هزت كيانها أحمد يتجه نحو ليندا ليضع في إصبعها خاتم الزواج.

شعرت ليلى وكأن الدنيا تلف من حولها انكسر قلبها فعلا خديجة، ليندا وزوجة أبيها قدموا لها سما على طبق من ذهب بينما كانت الزغاريد تعلو أكثر في القاعة لمح أحمد ليلى وهي تمسك رأسها بشدة لتقع أرضا مغشيا عليها بعد وهلة من الزمن.

فتحت ليلى عينيها لتجد نفسها مستلقية فوق سرير في غرفة ذات طلاء أبيض، كانت الأضواء جد ساطعة كادت أن تخرق عينيها صوت خافت كان ينادي باسمها: ليلا هل بإمكانك سماعي

قالت ببطء والتعب باد على صوتها: أين أنا؟

_ أنت الأن بمستشفى المدينة تعرضت لانهيارعصبي شديد بفضل الله تخطينا المرحلة الحرجة ولكن عليك الانتباه على نفسك أكثرسأشرف على علاجك من الآن وصاعدا لا داعي للقلق.

_ أنا أريد التكلم مع زوجة أبي.

_ إذا كان الموضوع يشكل خطرا على حياتك لن أسمح لك بمحادثتها حتى نتأكد من سلامتك.

_ لن يحدث معي شيء.

_ حسنا أتمنى ألا تتعبي نفسك في الحديث حاولي توخي الحذر.

******

قالت ليلى ودموعها تنهمر كالشلال الذي تدفق بعد مدة من انقطاعه: لما فعلتم هذا بي؟

بنفاق ردت زوجة أبيها: وماذا فعلت يا ليلى ما ذنبي بما حدث لك أبوك قال انه لن يتحمل مسؤوليتك وإن حدث لك شيئا لن يكون لأحد ذنبا إلا أنت.

_ كفي عن الكلام أرجوك سئمت من إيذائك لي وكأنني عدوتك، هاه قولي ماذا فعلت لك هل كان هذا جزائي.

أتعلمين أنك قمت بدفني وأنا على قيد الحياة.

_ أنا لم أفعل لك شيء.

_ لا تتبرئي من أفعالك أخبريني فقط ماذا فعلت كي تجعليني أحضر زفاف صديقتي المقربة مع الشخص الذي كان من المفروض أن يكون زوجي أنا، ماذا فعلت كي جعلتني أتزين وأرتدي أجمل ما عندي لأركب موكب زفاف ليندا وأحمد أخبريني بالله عليك لما أخفيتم الأمر عني كان بإمكانك إخبار من الأول كنت تفهمت الأمر ولو قليلا.

قدمت التهاني لصديقتي ليندا والسعادة تغمرني بئسا لي لم أكن أعلم أنني غبية لهذه الدرجة.

صرخت ليلى بشدة وهي تقول: أجيب أخبريني ما ذنبي.

استمرت على هذا الحال حتى دخلت في حالة هيستيرية من البكاء والصراخ مما جعل الطبيب يطرد زوجة أبيها من الغرفة ويحقن ليلى حقنة لتهدأ قليلا.

ليخرج الطبيب بعدها وينبه زوجة أبيها من عدم زيارتها مجددا حيث قال انها تمر بحالة نفسية جد معقدة قد تؤدي الى الجنون.

كانت خديجة حاضرة بينما كان الطبيب يقول وبوضوح أنها حالة عصبية شديدة قد تؤدي بسلامة عقلها.

سقطت خديجة على الأرض وكأنها فقدت أعز ما تملك، بالفعل أخفت عنها الأمر ولكن لمصلحتها فقط خوفا من أن تصل لهاته الحالة التي هي عليها الأن هي ليست خائنة كما تظن ليلى.

وبينما هي كذلك حتى لمحت أحمد وهو يركض كالمجانين باتجاهها وقفت على قدميها لتوجه نحو وجهه صفعة قوية كاد يسمعها كل من بالمشفى لتقول بعد أن أمسكت بقميصه: إن حدث شيء لها يا أحمد لن ألوم أحد غيرك ستتحمل إثمها طوال حياتك.

نزع أحمد يديها بقوة قائلا: أنا أحترم أنك ابنة عمي لولا هذه القرابة التي بيننا كنت صفعتك ضعف صفعتك مرتين، جئت لأطمئن على ليلى لا أكثر لا داعي لكلامك السخيف هذا وإن أعدت هذا التصرف ستتحملين العواقب

_ أحمد كم أنت شخص أناني لما يا أحمد صديقتي كانت تحبك بشدة لمَ غدرتها بهذه الطريقة لمَ جعلتها تتألم بشدة من سيتحمل ذنبها غيرك يا أحمد.

_ كيف حالها؟

_ هي ليست بخير تماما حتى أن الأطباء منعوا علينا زيارتها.

_ ستكون بخير هي فتاة شجاعة أعلم هذا.

رمقت خديجة أحمد بنظرة غضب وإصرار وقالت: لا أريد رؤية وجهك أمامي لا زلت تتكلم وكأنها أصيبت بزكام طفيف أقول لك أن ليلى على وشك فقدان عقلها.

_ وأنت تتكلمين وكأنك لم تخفي الأمر على ليلى كنت تعلمين بأمر زواجي من الأول لمَ لم تركضي نحو صديقتك لإخبارها بالموضوع.

_ ليكن بعلمك أنا لا أشبهك، ما فعلت هذا إلا خوفا من أن يحدث لها مكروه حتى أنني لم أكن أعلم أنها ستحضر حفل زفافك لو كان بيدي لأخفيت عنها الأمر إلى الأبد ولكن للأسف لم أنجح بهذا، أريد البقاء بمفردي لا تلحق بي.

بعد هنيهة من الزمن خرج الدكتور المتكلف بعلاج ليلى ليتجه أحمد نحوه مباشرة وهو يقول: دكتور كيف حال ليلى هل هي بخير؟

_ تخطت المريضة مرحلة الخطر نترقب تحسنها بعد فترة قصيرة.

_ هل يمكنني رؤيتها؟

_ لا يمكن لأي أحد الدخول عندها تجنبا لتعرضها لأي إزعاج.

أدار الطبيب رأسه نحو خديجة قائلا: أنسة خديجة هل بإمكاني محادثتك بمفردك لو سمحت.

_ طبعا دكتور.

انسحبت خديجة مع الدكتور بينما تعلق عقل أحمد الفضول بالحديث الذي سيدور بين خديجة وطبيب.

بعد فترة من الزمن عادت خديجة وهي تقول لأحمد: يمكنك الذهاب للبيت أنا سأبقى هنا.

قال أحمد بفضول: بماذا تحدث معك الدكتور.

_ لا شيء مهم سألني عن الحادثة التي أودت بليلى إلى المشفى كما أنه أخبرني عن احتمال عرضها على طبيب نفسي.

_ هذا كل شيء؟

_ أجل طبعا.

_ كان بإمكانه قول هذا الكلام وأنا موجود لمَ اختار محادثتك بمفردك؟

_ أحمد إن كان هنالك شيء يشغل عقلك يمكنك أن تسأله بنفسه لا تفندني، كما أنك تزوجت منذ قليل أنت الآن إنسان ذو مسؤولية عد إلى بيتك وزوجتك.

_ سأبقى هنا.

_ أحمد إن رأتك ليلى هنا سيزيد احتمال الخطر على حياتها من فضلك انسحب بهدوء إن طرأ أي جديد سأخبرك بالأمر.

_ حسنا سأنتظر مكالمتك.

في الصباح الباكر اتجه أحمد بعد ذهابه للمحكمة مباشرة نحو المشفى طرق على غرفة ليلى لم يستجب أحد عندما دلف الى الغرفة وجدها فارغة وكأنها لم تحمل مريضا أبدا هرول نحو الطبيب والغضب يكسو وجهه: أين ليلى يا دكتور المريضة التي كانت بالغرفة رقم 10

_ لقد خرجت المريضة من المشفى مساء أمس.

_ ألم تقل بأن حالتها كانت في مرحلة الخطر ما كان ذلك؟

_ ليلى لم تكن كذلك طلبت إخفاء أمر خروجها عنك كي لا تتأزم حالتها وبالفعل نحن نسعى لحماية صحة مرضى المشفى.

_ نحن لسنا في مسلسل درامي أيها الطبيب سأشتكي بك لإدارة المشفى ستتحمل عواقب وخيمة.

_ يا سيد افهم أرجوك نحن نخدم مصلحة أي شخص ملاحقتك للآنسة ليلى لن تزيدها إلا التأزم في حالتها النفسية هذا الشيء يعود لك.

_ لا تتدخل هذه أمور خصوصية ليس من واجبك التدخل فيها ستدفع ثمن ما فعلته غاليا.

******

كانت خديجة تجلس على الأريكة وهي تقول بسعادة بالغة: أتمنى أن يكون ما فعلته كافيا لأنال مسامحتك؟

قالت ليلى بصوت يملأه الفرح: خديجة لقد أسديت معروف عظيم يكفي ويوفي.

_ أتمنى أن تكوني قد اتخذت القرار الصحيح.

_ أنا متأكدة يا خديجة أنه القرار الأصوب بل كان يجب فعل هذا من الأول

_ لا شك في هذا معك حق، هاه بالنسبة لأوراق التحويل والإجراءات أنا سأتكلف بها لا داعي أن تشغلي بالك.

_ شكرا حبيبتي، خديجة إن سألك أحمد عني أخبريه أنني غادرت المدينة دعيه لا يتعب نفسه بالبحث عني.

_ حسنا سأخبره، هل أخبره أنك تعيشين مع أمك الآن.

_ لا طبعا هل جننت لا أريده أن يعلم أين مكاني بالتحديد، شكرا على أقناع أحمد مساء أمس بالعودة إلى البيت.

_ هه هه شكرا أعلم أن تمثيلي جيد هيا ليلى أنت ارتاحي ولا تنسي أخذ دواءك بالوقت المحدد سأقوم بتوصية الخالة جميلة كي تحرص على هذا الشيء.

_ أنت تتعاملين معي كالأطفال الصغار.

_ اصمتي ليلى عليك الاستماع إلى كلامي.

_ حسنا حسنا لا تغضبي أعدك سأفعل.

_ تصبحين على واقع أجمل.

_ ولك أيضا.

أغلقت خديجة الخط مع ليلى لتسمع صوت طرقات الباب بقوة همت لتفتح قائلة: أنا قادمة ستكسرون الباب لتقول بتعجب أحمد أهذا أنت؟

قال أحمد بصراخ وغضب: ما هذه المسرحية السخيفة التي قمت بتأليفها أنت وتلك المجنونة.

_ تكلم بهدوء يا أحمد أنا لا أتحمل تصرفاتك الوقحة هذه

_ أجيبي عن سؤالي ولا داعي للمراوغة

_ ماذا هل أنت مصدوم؟ لم يعجبك الأمر أليس كذلك؟ أهلا بك تفضل اجلس بالأريكة لنتناقش بالأمر.

_ لا أهلا ولا سهلا أخبريني أين هي ليلى.

قالت خديجة بوضوح: ليلى تركت المدينة

_ ماذا؟ كيف يعني تركت المدينة

_ كما سمعت ليلى الأن بعيدة عنك ب 500 كيلومتر

_ لم أتوقع منك فعل هذا تعلمين أن كل المشكلة التي حدثت بيني وبين ليلى سببها أمي لم فعلتم هذا وراء ظهري.

_ توقف يا أحمد أرجوك توقف عن لوم أمك في كل فرصة تتكلم وكأنك طفل تبلغ ست سنوات، أنت شاب لك إرادة وحرية اختيار توقف عن لوم الأخرين.

قال أحمد وهو يضرب الحائط بكف يده: اصمتي لم أطلب رأيك بشخصيتي، لقد قمت بخيانة وعدك، كيف لك أن تسمحي لها بالذهاب بدون علمي كيف

_ أحمد أنت مريض نفسي صدقني عليك أن تتعالج في أقرب وقت لأنك تشكل خطرا على المجتمع ليلى محقة بذهابها ولو أعيد الزمن سأعيد الكرة وأساعدها بالتخلص منك ومن أكاذيبك وخداعك وتصرفاتك الطفولية هذه.

رفع أحمد يده ليضرب خديجة ثم توقف لكيلا يخطئ مجددا

قالت خديجة بوجهها الصارم: هيا اضرب يا أحمد أصلا لن أتوقع منك غير هذا.

صمتت خديجة لوهلة ثم قالت اخرج من بيتي لا أريد رؤية وجهك ثانية اسعى لتصليح نفسك يا أحمد أقول هذا لأنني اعتبرك أخي وليس ابن عمي، ستفقد أغلى الأشخاص بحياتك إن لم تقم بإصلاح نفسك.

خرج أحمد من بيت خديجة وكأنه إنسان آخر كل ما قالته خديجة كان صحيح هو يتلاعب بحياة أقرب الناس إلى قلبه يحطم قلوبهم بدون أن يشعر بالفعل عليه تصحيح أخطاءه اتجه أحمد نحو المسجد ليركع الى الله بأول مرة في حياته ليطلب منه العفو والرضا ودموعه منهمرة على خده كالأطفال.

الفصل الأخير

في الجانب الأخر كانت ليلى توظب أشيائها وهي في غاية السعادة وأخيرا ستعيش حنان الأم الذي فقدته منذ سنوات حتى وأنها تحمل الكثير من الأسئلة لأمها ولكنها تكاد تطير بالفرح لأن أمها كانت أول من وقف يظهرها حين احتاجت من يبعدها عن تلك الأجواء، عندما طلبت خديجة المساعدة من السيدة " جميلة " أم ليلى لم تتردد ولو للحظة لحماية ابنتها.

قالت السيدة جميلة بحنان: ليلى ابنتي تعالي العشاء جاهز

جلست ليلى على الطاولة لتشعر أنها تجلس مع شخصا غريب تلتقي معه لأول مرة فهي منذ صغر سنها افترقت عن أمها، حتى أنها لا تتذكر آخر مرة قبلتها فيها أو احتضنتها.

قال ليلى بتردد: أمي ...

_ نعم حبيبتي

_ بصراحة هذه أول مرة أنادي فيها امرأة أمي حتى أنني أشعر أنها غريبة على لساني.

_ ليلى أعلم أن قلبك وعقلك كلاهما يملكان العديد من الأسئلة انظري سأجيبك عن أي استفسار تطرحينه ولكن لا يكون لديك شك أبدا بأمومتي وحبي لك أنا لم أنساك أبدا حتى أنني كنت أترصد أخبارك من حولك دائما وعندما سمعت بتعرضك لهذه النوبة أنا أول من كان بالمرصاد.

كانت السيدة جميلة تتلكم والدموع تمكنت من عينيها إلا أن قاطع الهاتف هذه اللحظة العاطفية بين الأم وابنتها بعد فراق طويل كان رقم غير مسجل على هاتف ليلى انسحبت بهدوء إلى غرفتها وردت قائلة: نعم مرحبا.

_ ليلى كيف حالك.

_ عفوا من معي.

_ لم تتعرفي على صوتي.

قالت ليلى وكأنها سمعت صوت شبح: أحمد؟

_ نعم أحمد أرجوك لا تغلقي الخط هناك ما أريد أن أقوله لك.

_ ليس هناك شيء يمكنني التحدث فيه معك.

أحمد وهو يترجى: ليلى أنا تغيرت كثيرا لم أعد أحمد الذي تعرفينه صدقيني أريد فرصة ثانية سأبرهن لك هذا.

_ الإنسان لا يتغير بين ليلة وضحاها يا أحمد وإن كنت أعرفك ولو قليلا لست بالإنسان الذي ينطلي عليه التغيير علاوة على هذا أنت إنسان متزوج دعك من هذه التفاهات ولا تظلم شخصا آخر غيري صحيح أن ليندا كانت صديقتي المقربة ولكنها طعنتي بظهري مع هذا لن أتمنى لها أن يحدث معها مثل ما حدث لي.

_ لقد طلقتها.

_ ماذا ؟؟ هل قلت أنك طلقت ليندا!

_ أجل في صباح مغادرتك للمشفى طبعا وأنا لم أكن أعلم أنك غادرتي اتجهت مباشرة الى المحكمة.

_ هذا هو التغير يا أحمد؟ يا لك من أناني تفكر بنفسك فقط وتقول إنك تغيرت.

_ ليلى أرجوك فرصة واحدة فقط.

_ اذهب أنت وفرصتك إلى الجحيم، نحن لسنا لعبة بيدك تتركها متى مللت من اللعب افهم هذا يا أحمد يكفي حقا يكفي ما جعلتني أعيشه أنا بالكاد سأحاول بناء حياتي من جديد لذا ارحمني أرجوك اتركني وشأني.

أغلقت ليلى الخط بعد أن تمكن أحمد من فتح جرحها ثانية.

عادت إلى الطاولة لتكمل عشاءها مع أمها لتلاحظ السيدة جميلة توترها وقلقها كانت واضحة أن دمها يكاد يفور من الغضب كانت يداها ترجف وكأنها شاهدت وحشا أمامها.

_ ليلى ماذا حدث ابنتي؟

_ لا شيء أمي حدثت مناوشة بيني وبين صديقتي هذا ما حدث.

_ حبيبتي انظري قبل أن أكون أمك أريد أن أكون صديقتك اعلم أنك لم تعتادي بعد على هذه المصطلحات (أمي، ابنتي) لذا اجعليني صديقتك لا شيء يخفى بين الأصدقاء ولهذا اشرحي لي صدرك وأخبريني كل ما حدث معك ربما يمكنني مساعدتك.

قالت ليلى والدمع بلل وجنتها: أريد أن تكوني أمي لا صديقتي تلك الأم التي تحنو على ابنتها عندما تقسو عليها الحياة أريد أن تكوني تلك الأم التي تشعر بابنتها بدون أن تقص لها.

عانقت السيدة جميلة ليلى وصارت تمسح على شعرها بحنان انتفضت ليلى وقالت: أمي سأقص عليك كل ما حدث معي واجعليني اسمع نصيحتك.

_ من دواعي سروري يا بنيتي.

في جلسة طويلة تمكنت ليلى من تقديم لأمها سيناريو كامل حول ما حدث معها بداية من تخلي أبيها عنها وعن مسؤولياته إلى غاية خطوبة أحمد والخيانة التي تعرضت لها من قبل صديقتها ليندا وأحمد ختمت حكايتها باتصال أحمد اليوم وهو يزعم بأنه تغير ويريد فرصة ثانية.

تأثرت السيدة جميلة بما حدث لابنتها وهي في ريعان شبابها

لامت نفسها حين تخلت عنها وهي في العاشرة من عمرها، كانت تظن إنها ستعيش حياة أفضل مع أبيها ولكن للأسف بئس ما فكرت به.

بعد تلك الليلة وعدت السيدة جميلة ابنتها بجعلها تعيش أجمل أيام عمرها وبالفعل وفت بوعدها، نست ليلى كل ما حدث معها صحيح أنها لم تنسى بل تشبثت في ذكرياته بكل قوتها ولكنها تناست الألم والصدمة التي عاشتها.

ها هي تجتمع مع أمها على طاولة العشاء المزينة بضوء الشموع أرادت أمها أن توفر لها هذا الجو الهادئ كي تعوضها عن الأيام الخوالي.

_ أمي حقا قضيت معك أجمل أيام حياتي أنت تقومين بتدليلي كثيرا يكفي إلى هذا القدر أشعر بالخجل هه هه.

_ لن أسمعك تقولين هذا مجددا، أنا مسرورة جدا لأنني تمكنت من استعادة ابنتي لحضني.

قاطع حوارهما الجميل اتصال خديجة المفاجئ بهذا الوقت المتأخر من الليل ردت ليلى وهي تقول بصوت تبدو عليه الدهشة: خديجة! مرحبا

_ ليلى أهلا عزيزتي أنا أريد أنا أتحدث مع أمك فورا

_ ماذا حدث هل هناك شيء يبدو على صوتك البكاء.

_ ليلى أرجوك حبيبتي لا أملك الوقت الكافي أخبري أمك أنني أريد التحدث معها.

تناولت السيدة جميلة الهاتف من يد ليلى وانسلت إلى غرفتها بعد أن استأذنت من ابنتها.

جلست ليلى على سريرها وقلبها يكاد ينفطر من القلق وجلعت تقلب الأسئلة بينها وبين نفسها ترى ما سر اتصال خديجة بهذا الوقت المتأخر من الليل وصوتها ينتابه البكاء إضافة إلى هذا رفضت محادثتي وطلبت محادثة أمي مباشرة، قاطعت جميلة أفكارها بدخولها المباشر على غرفتها ووجهها شديد الحمرة، يداها ترجف وعيونها تكاد تنزلق من موقعها: ليلى تفضلي ها هو هاتفك.

_ أمي ألن تخبريني ماذا أرادت منك خديجة؟

صمتت السيدة جميلة لوهلة ثم كسرت الصمت قائلة: معك حق انت يجب عليك معرفة ما حدث ولكن عديني بالأول أنك لن تلومي نفسك عديني يا ليلى أن تبقي قوية مهما قلت لك.

ليلى بخوف: أمي أرجوك تكلمي لقد أخفتني ما هو الشيء الذي جعلك تبدين على هذا الحال.

_ ذلك الشاب الذي يدعى أحمد.

قالت ليلى وراءها بحرص: أحمد ...؟

_ أحمد تعرض لحادث وفارق الحياة.

شعرت ليلى وكأن سيفا اخترق قلبها بعد أن ألقت أمها على مسامعها تلك الكلمات: لا لا لا هل تسمعين نفسك ماذا تقولين.

_ ليلى تمالكي نفسك أرجوك لا تفعلي هذا وعدتني أنك لن تنهاري.

وقعت ليلى على الأرض وهي تتوسل أمها: أمي أرجوك أخبريني أنها مجرد مزحة أخبريني أن هذا لم يحدث أحمد لم يمت.

جلست جميلة على الأرض لتمسك بيد ابنتها قائلة: انهضي يا ليلى من الأرض أتوسل إليك أنت مريضة لا تفعلي هذا بنفسك هذا شأن الحياة لا تجعليني أفقدك مرة ثانية.

انطلقت ليلى في بكاء هيستيري وهي تقول: مات بسببي أليس كذلك!

_ ليلى هدئي من روعك لا تفعلي هكذا.

_ أحمد مات بسببي أنا من تركته، أنتم تكذبون، تكذبون كلكم كاذبون

صارت ليلى تلطم الأرض بيديها والدموع انهارت مثل الشلال.

حضنتها أمها بقوة وتوسلت إليها أن تتوقف عن فعل هذا بنفسها وبالفعل حدث ما كانت تخشاه تعرضت ليلى لنوبة دماغية مجددا وفقدت وعيها وهي في حضن أمها.

بعد مرور ستة أشهر

_ دكتور كيف حال ليلى.

_ نحن نعمل ما بوسعنا ولكن للأسف ليلى تأبى الاستجابة للعلاج منذ قدومها إلى المصحة العقلية لم يطرأ على صحتها أي تغير بل ازدادت تعقيدا.

قالت جميلة وعيونها تشع بالأمل: ستتحسن في يوم ما أليس كذلك

رد الطبيب بصوت يكاد يخلو من أي تفاؤل: في هذه المصحة مرت علينا العديد من الحالات مثل ليلى منهم من دامت فترة بقائها سنة، سنتين، عشر سنوات حتى هناك من ماتت وهي بالمصحة أظن أنك فهمت ما أقصد اجلعي أملك بالله أكبر ليلى تبدو فتاة جد قوية ولكنها لا تفصح عما بداخلها هي تقضي وقتها بالكتابة فقط ترفض التكلم بشتى الطرق، على هذا السياق تذكرت أن أقول لك هناك دفتر مذكرات قمنا بتخصيصه لها يمكنك الاطلاع عن ملاحظاتها إن شئت؟

_ نعم لو سمحت أريد قراءة ما كتبته.

وبالفعل جعلت جميلة تقلب صفحات المذكرة ليلفت انتباهها لصفحة مكتوب عليها: رسالتي للحياتي.

قضت جميلة ليلا كاملا وهي تقرأ تلك الرسالة أعادت قراءتها عشرات المرات كان ليلى قد كتبت في الرسالة:

_ كنت في نفق طويل مظلم داومت السيرفيه حتى لمحت ضوء ساطع أعاد الروح لحياتي، أنت ذلك الضوء يا أحمد وجدتك بعد أن فقدت طعم الحياة تذوقت طعم السعادة حين بث الأمل في قلبي كنا سنتزوج! تلونت حياتي لقد أنارت الشمعة وأخيرا في طريقي.

ماذا حدث! انطفأت الشمعة في وجهي مجددا، أنت من أطفأتها يا أحمد لقد مسكت يدي وتركتني تائهة في منتصف الطريق، كنت ولا زلت أهم شيء بحياتي.

صحيح أنك أخطأت بحقي كثيرا ولكنك تفهمت خطأك طلبت مني فرصة ثانية! ستكون لنا فرصة ولكن ليس في هذا العالم الظالم، أنا ميتة يا أحمد مت في ذلك اليوم الذي غادرت فيه حياتي، أنا لست مجنونة بل حتى أنني أسمع أصواتهم ومخاطبتهم ولكن عجزت عن فهم لغتهم.

قلبت جميلة مذكرات ليلى كثيرا دققت في معانيها أيقنت أن ليلى كانت تعيش ظروف جد صعبة مع زوجة أبيها وبالفعل استطاع أحمد أن ينسيها بعض هذه الهموم.

تذكرت جميلة عندما كانت ليلى تبلغ من عمرها عشر سنوات حينها تزوج على (أب ليلى) للمرة الثانية وطلب منها أن توظب أغراضها وتخرج من البيت بعد أن ذاقت معه جميع أنواع الإهانة والعذاب كانت تتعرض للضرب يوميا على أتفه الأمور وقتها لم تجد مأوى لها كانت يتيمة لا تملك أحد قررت أن تتوه في الشوارع لحالها.

سلمت ليلى لأبيها بعد محكمة الطلاق لتتأكد من توفير عيش كريم لابنتها الوحيدة اتخذت من الناس ملجأ لها وبالفعل استطاعت أن تعمل وتوفر قوت يومها لولا إرادتها الجبارة لما كانت حية ليومنا هذا.

تألمت جميلة كثيرا عن واقع ابنتها المرير الذي تعيشه بالفعل هي لم تكن سببا في ذلك ولكنها كانت تستطيع تغيير بعض الأشياء لم تعرف جفونها النوم طيلة اليوم.

في الصباح الباكر اتجهت مباشرة نحو المصحة العقلية لزيارة ليلى.

كانت تتعذب عند رؤيتها على هذا الحال كانت دائما تسألها عن حالها ولكن لا تجيب تترجاها أن تحرك رأسها فقط ولا نتيجة.

خرجت من المصحة والحزن تملك نفسها قامت بالاتصال بعلي بعد وقت طويل وعندما استجاب لاتصالها قالت: ابنتنا كانت أمانة عندك لما أهملتها وصلت لهذا الحال بسببك.

قال على بصوت متردد: عفوا من أنت.

_ أنا أم ابنتك ليلى التي تخليت عن مسؤوليتها ولم تفكر برعايتها حتى تزوجت وأهملتها حتى وصل بها الحال إلى المصحة العقلية.

_ ليتك قبل قول هذا الكلام تتذكري كيف سلمتها لي بيديك بعد الطلاق هل تتذكرين كيف كانت حالتك كنت تعلمين أنك لست قادرة على تحمل المسؤولية لذا لا تلومي شخصا بريء وتنسين نفسك.

_إن حدث شيء لابنتي لن أسامحك عند الله ستتحمل وزرها الى الأخرة ليلى أصبحت مجنونة استدرك معنى هذا!

_ ليلى تستحق ما حدث لها لم تكن تصغي لكلامي حتى كانت تتصرف بهواها ولا تبالي بأحد.

_ ليتك نصحتها وضممتها لحضنك مثل الأبهاء ليتك جعلتها تشعر أنها تملك جدارا تسند عليه ظهرها وقت الحاجة الأب الحقيقي هو شيئا كهذا، أخبرتني ليلى أنها بالكاد كانت ترى وجهك باليوم وإن رأيتها تقابلها بالصراخ أو الضرب كنت سببا في مرضها النفسي المسكينة فاقت همومها الجبال لم تستطع أن تتحمل وانهارت بالأخير.

_ لا أريد رؤية رقم هاتفك مجددا.

اكتفى على برمي هذه الكلمات على مسمع جميلة وأغلق الخط بوجهها.

_ عادت جميلة إلى البيت وكأنها بناية كساها الحطام انهد حالها وهي تركض من المصحة إلى البيت وعدت نفسها أن تحاول إخراج ليلى من دوامتها وبالفعل هي كذلك تسعى بكل ما تملك من مجهود قد تفلح.

كانت جميلة تجهز سريرها حين سمعت طرقات على الباب تعجبت عند فتحها الباب من فتاة تقارب ليلى في السن سمراء البشرة، بشوشة تشبه ليلى سألتها جميلة بتعجب: عفوا هل تحتاجين شيء

_ خالة جميلة كيف حالك.

اندهشت جميلة وقالت: من أنت.

_ أنا خديجة صديقة ليلى

بدون سابق إنذار حضنتها جميلة بشدة وبدأت بالبكاء وكأنها لقت شخصا ضائعا بعد فترة كساها الغباروبالفعل كذلك خديجة هي صديقة ليلى المقربة تحمل صفاتها ورائحتها، تمكنت جميلة إن تستنشق عطر ابنتها ليلى في ثياب خديجة قالت بفرحة ممزوجة مع الحزن: تفضلي ادخلي لا تقفي عند الباب. في أمسية طيبة جهزت جميلة ما لذ وطاب من الاكل لضيفتها المميزة كانت عند الحديث معها ترى ليلى بعيونها.

_ كيف حال ليلى هل استجابت لشخص ما؟

_ لا للأسف أحاول معها كل يوم لا تنظر إلى وجهي حتى.

_ ويحي عليها المسكينة ما عاشته ليس بقليل.

_ أخبريني كيف كانت تعيش مع أبيها.

_ كانت تعيش في حالة جد مزرية خاصة زوجة أبيها كانت تعاملها بطريقة جد قاسية تخفض دائما من معنوياتها وتجرحها بالكلام حتى أنها أحيانا كانت تضربها، ليلى كان تقوم بكل الأشغال المنزلية وكأنها خادمة كنت أقوم بمساعدتها من حين لآخر.

أهملت دروسها في الفينة الأخيرة وهزل جسدها كما لاحظت.

_ آه يا ابنتي، وأبوها كيف كان يعاملها.

طأطأت خديجة رأسها ثم قالت: اعتذرعن هذا الكلام ولكن لا يمكننا أن نطلق عليه صفة الأب أبدا الوالد يحن على ابنته ويكون سندا لها بالحياة، أما هو كان قاسي معها دائما أحيانا كان يضربها بالعصا حتى يسمع الجيران صراخها ومع هذا لم تشتكي لأحد، كانت فتاة بشوشة محبوبة في الوسط الاجتماعي.

تساقطت العبرات من عيون جميلة بعد أن سمعت قصة ابنتها المزرية شعرت وكأنها حضرت تلك المشاهد القاسية تعرضت ابنتها للعنف طوال هاته السنين ولم تلجأ لأحد من أجل مساعدتها.

_ خالة جميلة أرجوك لا تحزني هكذا أردت أن أخفف عليك عند قدومي، لعلى وعسى يشغلك حضوري عن الأحزان والهموم.

_ أنت لا تعلمين يا خديجة مقدار السعادة التي شعرت بها حين رأيتك شعرت أن ابنتي هي من تقف أمامي شكرا لأنك جئت حقا وجودك بجانبي في هذا الوقت الصعب يعني لي الكثير، اذهبي يا حبيبتي إلى غرفتك وارتاحي جئت من رحلة سفر طويلة سنذهب لزيارة ليلى غدا في الصباح الباكر.

قبلت خديجة جبين جميلة وقالت: ستتحسن ليلى أعدك.

_ أعلم بالتأكيد ستتحسن.

_ تصبحين على خير.

_ وأنت من أهل الخير.

دخلت خديجة الغرفة وهي تفكر كيف يكون حال ليلى بالمصحة سألت عن رد ليلى عند رؤيتها بالفعل ستستجيب كان لها إحساس عميق أن الصداقة القوية إلي كانت بينهما لن تخيب.

في صباح اليوم التالي توجهت خديجة مع جميلة مباشرة للمصحة أعطاهم الطبيب تفاصيل حالتها وجعل خديجة تفهم أن ليلى في دوامة عقلية ونسبة استجابتها عند رؤيتها جد ضئيلة.

دخلت خديجة إلى غرفة ليلى فانصدمت برؤيتها على ذلك الحال كان جسمها جد هزيل، عيونها تحملق في السماء وكأنها في عالم آخر.

قال الطبيب بصوت متفائل: ليلى انظري من جاء لرؤيتك.

لم يشغل بال ليلى حتى الفضول استمرت على حالها ولم تأبه أبدا برؤية الشخص الذي جاء لزيارتها.

تأملت خديجة حال صديقتها ثم قالت: ليلى أختي الغالية هذه أنا خديجة.

حدثت المعجزة ها هي ليلى التفت نحو خديجة لتركض نحوها وترمي نفسها بحضنها.

تمكنت ليلى وأخيرا من البكاء وهي بين أحضان صديقتها المقربة بكت كما لم تبك من قبل أخرجت كل المكبوتات التي كانت بداخلها على كتف خديجة، هذا ما كانت تحتاجه ليلى شخصا عاش معها جميع معاناتها، شخصا وقف معها في السراء والضراء، شخصا جعل من أحلامها حقيقة، هذا الشخص هو خديجة.

هي من كانت تطبطب على قلبها وقت الحاجة، هي من كانت تسمح دمعها وترسم بمكانه ابتسامة.

جلست ليلى على السرير وهي تضم خديجة بشدة كانت تشبه طفلا صغير ضالا يحتاج للحنان، نامت على أحضانها والابتسامة مرسومة على شفتيها.

بالفعل ليلى لم تتكلم بشفتيها ولكن افعالها هي من كانت تترجم لغتها، ليلى استجابت لخديجة، ليلى تملك أملا كبير لبناء حياة جديدة مجددا.

عند خروج خديجة من المصحة عانقت جميلة بفرح لتقول: ليلى استجابت يا خالتي لقد عانقتني بشدة هي لم تتكلم ولكن عيونها كانت تقول أنت هنا يا صديقتي ليلى نامت بحضني مثل الأطفال والسعادة مرسومة على وجهها.

جثت جميلة على ركبتيها ودموع الفرح تملأ وجنتيها حمدت الله كثيرا على هذه المعجزة التي حدثت مع ليلى وأخيرا دخل الأمل لقلوبهم مجددا.

أكد الطبيب أن ما حدث مع ليلى اليوم كان أمر إيجابي جدا هذا يدل على أمل شفائها في القريب العاجل كما قال إن إدارة المصحة ستتوقف عن حقنها المهدئات وإذا حدث وتكلمت ليلى سيقومون بعرضها على طبيب نفسي ليشخص حالتها العقلية.

عادت جميلة إلى البيت والفرحة تغمر قلوبهم جلسوا على طاولة الغداء لتقول خديجة: ألم أخبرك أن ليلى ستتحسن كنت متأكدة أن رؤيتها لي ستحسن من حالتها كيف لا وأنا أعز ما تملك.

_ لا أعلم كيف أرد جميلك هذا لقد أسديت معروفا عظيم لي.

_ لا تقولي هذا أرجوك سأشعر وكأنني غريبة أنا أعتبر ليلى أختا لي صحيح أنني لم أرزق بأخت من بطن أمي ولكن ليلى كانت أختا حقيقية أهداني إياها الله.

_ بالفعل حتى ليلى كانت تتكلم عنك كثيرا كما أنها أخبرتني أنك وقفت بجانبها وقت الحاجة خاصة حين حدثت تلك المشكلة بينها وبين أحمد

_ صحيح نسيت أن أخبرك أنّ أم أحمد أمست مشلولة بين ليلة وضحاها حين توفي أحمد من هول الصدمة توقفت عن الحركة والكلام بسبب ارتفاع ضغط الدم.

_ حقا؟ لقد حزنت من أجلها كثيرا صحيح أنها كانت أحد الأسباب التي أوصلت ابنتي لهذه الحالة ولكنها أم هي أيضا فقدت فلذة كبدها أشعر بها.

_ معك حق خالتي، أما ليندا تزوجت بعد شهرين من طلاقها والأدهى والأمر أنها لم تفكر بحضور جنازة أحمد حتى كرامة لوجه أمه التي جعلتها عروسا وفضلتها على ليلى أنا متأكدة أنها أدركت حجم المصيبة التي أوقعتها على ابنها.

_ هاه خديجة لقد نسيت أن أسألك كيف توفي أحمد هل حقا كان حادث؟

_ في تلك الليلة حدثت مناوشة بينه وبين أمه بسبب ....

سكتت خديجة لوهلة لتقول جميلة: بسبب ماذا؟

_ بسبب ليندا، كانت تخيره كالعادة بينها وبين قراره رفض أحمد ذلك اليوم رفضا قاطعا أن يرجع ليندا وعند خروجه من البيت قالت له محرم عليك حضور جنازتي يا أحمد وإذا بها تحضر جنازته قبل أن يحضر جنازتها.

_ وكيف تعلمين كل هذا هي أخبرتكم؟

_ لا طبعا يومها كنت موجودة معهم عدنا أنا وأحمد من البحيرة بعد أن جنينا المحصول أردت أن أمر على بيتهم قليلا لأطمئن على أمه.

_ المؤلم في القصة أن أحمد ليس له ذنب إطلاقا فهمت ان امه كانت تهدده دوما بالرحيل

_ بالفعل يا خالتي هي كانت سببا في تدمير حياة ابنها بل امتدت تصرفاتها الوقحة إلى حياة ليلى أيضا.

استمرت خديجة بقص كلما ما حدث في هذه الشهور الماضية حتى قاطعهم صوت رنين الهاتف ردت جميلة قائلة: دكتور هل حدث شيء.

_ لا بالعكس هناك خبر مفرح ليلى خرجت إلى الحديقة اليوم على غير عادتها منذ قدومها إلى المصحة كانت تظل عاكفة بالغرفة.

_ حقا! لقد سعدت كثيرا بهذا الخبر.

_ هناك شيء آخر إن كنتم تملكون المزيد من الوقت سيكون من الأفضل قدوم صديقتها خديجة اليوم بالمساء لتحاول أن تحادثها ليس من البعيد أن تستجيب للحديث معها.

_ طبعا، طبعا سنكون بالمصحة خلال نصف ساعة.

أغلقت جميلة الخط لتطلب من خديجة تجهيز نفسها أمامهم معركة طويلة مع مرض ليلى أو بالأصح مع الدوامة التي تعيش ليلى بداخلها.

كانت ليلى تجلس بالحديقة حين اتجهت خديجة نحوها جلست بجانبها وأمسكت بيدها ابتسمت ليلى عندما رؤيتها وشدت هي الأخرى على يد صديقتها لتقول خديجة: ليلى حبيبتي كيف حالك اشتقت لك كثيرا أنا جد مسرورة لأن

حالتك تتحسن، لمَ فعلت هذا بنفسك لو تكلمت معي وأخبرتني ما بداخلك كنت تفعلين هكذا دائما أنا أول من كنت تتجهين إليها حينما تسوء حالتك، ليتك أفرغت كل همومك وجعلتني أشاطرك إياها، تكلمي هيا يا ليلى أخبريني عن حال تلك الفراشة الملونة لمَ اسودت جناحاها هكذا فجأة؟

سقطت عبرات من عيون ليلى ثم طأطأت رأسها، فقدت خديجة الأمل بعد أن دامت لحظات الصمت بينهم لتقول: لا بأس يا ليلى إذا كنت لا تريدين التكلم معي، ليكن بعلمك أن الحياة لا تستحق كل هذا يمكنك أن تعيشي حياتك مجددا يا ليلى، تذكري أن الله سيحاسبك على نفسك لن يفيدك الصمت بأي شيء أعلم أنك لست مجنونة مع هذا وأريدك أن تعرفي شيئا صديقتك خديجة ستكون وراء ظهرك دائما وقت ما كنت تحتاجين شخصا تسندين عليه ظهرك أنا هنا، لا تنسي هذا ابدا.

قبلتها على جبينها وانطلقت مودعة ليلى بعد مسافات طويلة قطعتها بحديقة المصحة الكبيرة شعرت خديجة وكأن شخصا يناديها التفت لترى ليلى وهي تلوح بيدها وتقول: خديجة لا تذهبي.

ركضت خديجة بشدة نحوها حضنتها وهي تصرخ كالمجانين: ليلى تكلمت، ليلى تكلمت.

كانت خديجة تبدو وكأنها فاقدة للعقل وهي تتأمل وجه ليلى تارة وتارة أخرى تصرخ وتقول ليلى بخير أمسكتها ليلى من يدها وجعلتها تجلس في مقعد الحديقة لتقول: خديجة هدئي من روعك.

_ ليلى أنت حقا تتكلمين معي أليس كذلك، هذا ليس حلم؟

_ ليس حلم أنا من كنت بحلم عميق وجعلتني أستيقظ منه معك حق سيحاسبني الله على نفسي أريد أن أطلب المغفرة من الله سيسامحني أليس كذلك.

ضمت خديجة كفتيها نحو وجه خديجة وهي تقول: آه يا ليلى لا تعلمين مقدار سعادتي أريد أن أعانق الجميع وأخبرهم أن ليلى بخير.

_ أمي هنا أليس كذلك.

_ نعم طبعا هي هنا.

_ لمَ لمْ تدخل معك!

_ بالحقيقة خالتي ساءت حالتها كثيرا عندما كانت تراك على ذلك الحال كانت تلوم نفسها على ما حدث معك.

قالت ليلى بعد أن شرعت بالبكاء: عاقبت نفسي وعاقبتكم معي سامحوني يا خديجة.

_ ليلى لا تقولي هذا سيكون كل شيء على ما يرام تأكدي أن خالتي ستفرح كثيرا هيا تعالي هي تجلس أمام باب الحديقة.

هرولت خديجة وهي تمسك بيد ليلى نحو جميلة، لمحتهم وكأن الفتاتين تحلقان من السعادة، صرخت ليلى وهي تركض ممسكة بيد خديجة قائلة: أمي.

كاد قلب جميلة يتوقف عن نبضه حين سمعت كلمة أمي وهي تخرج من فم ليلى.

قالت بصوت يكاد لا يسمع: ليلى، ليلى قالت أمي.

في مشهد شهده كل عمال المصحة ركضت جميلة نحو ليلى لتضمها في حضنها بعد عدة قبلات لتجثو كلاهما على الأرض والبكاء يسيطر على الأجواء لحقت خديجة بهمها وهي تمد يدها لمعانقة الأم وابنتها.

بعد يومين من القيام بالإجراءات القانونية للمشفى تمكنت ليلى من احتضان الحياة مجددا بفضل صديقتها خديجة بعد فضل الله الذي أنعم عليها، كانت الطيور تزقزق بشدة على غير عادتها وكأنها تعزف على أنغام الكمان للترحيب بعودة ليلى إلى هذه الحياة، تساقطت أمطار هادئة لتبلل وجه ليلى وكأنها تغسل آهات المعاناة.

******

لا أريد أن أرى أي شيء على الأطباق قالت جميلة بعد أن جهزت العديد من الأكلات التي تحبها ليلى.

قالت ليلى بدلال: أمي يكفي أنا لست فتاة صغيرة.

_ ليلى لا تجادلي أكثر، هيا عليك أن تتناولي كل هذا لتعود صحتك على ما كانت عليه من قبل جهزي نفسك بعد الأكل عندك موعد مع الطبيب النفسي.

_ أمي لا أريد الذهاب يكفي أنا بخير.

_ ليلى يا حبيبتي أنا أريد أن أطمئن على صحتك أكثركما أنك وعدت صديقتك خديجة تريدين أن تخلفي وعدك.

_ بالطبع لن أفعل مضى شهروأنا أعرض على الطبيب النفسي مللت كما أنه يشيد أنني بخير.

_ ليلى حبيبتي لا تجعليني أعيش نفس الصدمة مجددا أرجوك.

_ أمي أعدك أنني لن أفعل هذا بنفسي مجددا، ليلى اليوم ليست ليلى السابقة أدركت من خلال الدروس التي تعلمتها أن الأشخاص الذين يمرون بحياتنا مجرد امتحان وأنا نجحت بهذا الامتحان حين تخليتي عني بصغري كان لديك سبب وجيه وهذا درس أن نحكم على الأشخاص بدون أن نسمع منهم، حين طعنتني أقرب صديقاتي وهي ليندا كان هذا درس الثقة لن ينال أحد من الآن وصاعدا ثقتي بسهولة وأحم....

صمتت ليلى لوهلة ثم قالت وأحمد حين تخلى عني بعد أن لون حياتي تلقيت درس الوفاء والتمسك عند الشدائد تعلمت أن البقاء يكون لمن يريدك حقا بحياته.

أما في الجانب المضيء من حكايتي هي خديجة صديقتي التي وقفت بجانبي في أقسى ظروفي حاول الزمن تفريقنا ولكن كانت كالجدار المشيد بإتقان رفضت التخلي عني، كنت أسند رأسي على كتفها كلما احتجت إلى الحنان.

كانت تمسح دموعي كلما همت بالانهمار.

لقد أهداني الزمن أختا مثل الألماس.

نهضت ليلى من مكانها وهي تقول: وبعد فراق طويل عدت لأغلى ما يملك الإنسان، إلى حضن دافئ غمرني بالحنان أمي أنا أحبك.

******

التحقت ليلى بجامعتها لتكمل دراستها بعد أن تخصصت باللغة الألمانية، كانت طالبة جد متفوقة خاصة في اللغة، استطاعت أن تبني حياتها من جديد بعد أن هدمت كل معالم أيامها التعيسة.

تعلقت أكثر بأمها التي تمكنت من اكتساب قلب ابنتها بفترة وجيزة وعوضتها عن كل ما فاتها.

تمت خطبت ليلى من شاب خلوق درس معها بالجامعة بعد سنتين من تخرجها.

خاتمـــة

أحيانا نعطي ثقتنا لأشخاص يقومون بدفن معالمنا من خلالها دائما نردد أن الثقة كنزا عظيم لمَ نبيع هذا الكنز بأرخص الأثمان؟

أحيانا نقضي أوقاتا مع أشخاص لا يقدرون معنى شخصنا لمَ لا نقدم تلك الدقائق الثمينة لمن يستحقها بالفعل؟

قصة ليلى وأحمد تحمل الكثير من العبر والدروس أولها: الثقة فالصديق يخون والقريب يخون.

تعلمنا هذه القصة أن الطبقية والحالة الاجتماعية هي أسوء صور المجتمع.

قد يظلم المرء ابنه وهو لا يشعر ليؤدي به إلى الهاوية تدريجيا وهو لا يعلم لنعش بصدق كما نحن الحياة مجرد امتحان يمر به الإنسان إما النجاح أو الرسوب.

تمت بحمد الله

معلومات حول الرواية

العنوان ملحمة أنثى

هذه القصة مستوحاة من أحداث حقيقية حدثت في مجتمعنا ترسم معاناة فتاة عاشت مع زوجة أبيها و تعرضت للخيانة من طرف أقرب الأشخاص لها في حياتها مما أدى بها في الأخير إلى دخول المصحة العقلية لتقاوم من جديد و تعيد بناء حياتها كما سبق و أفضل لتعلمنا أحد دروس القوة و الثقة بالنفس.